

تفسير البحر المحيط

@ 464 @ والسدي : السلام هو ا[تعالى ، وسبله دينه الذي شرعه . وقيل : طرق الجنة .
وقرأ عبید بن عمیر ، والزهری ، وسلام ، وحمید ، ومسلم بن جندب : به ا[بضم الهاء حيث
وقع . وقرأ الحسن ، وابن شهاب : سبل ساكنة الباء . .
{ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ } أي من ظلمات الكفر
إلى نور الإيمان ، أي بتمكينه وتسويغه . وقيل : ظلمات الجهل ونور العلم . .
{ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } هو دين ا[وتوحيده . وقيل : طريق الجنة
 . وقيل : طريق الحق ، وروي عن الحسن . والظاهر أن هذه الجمل كلها متقاربة المعنى ،
وتكرر للتأكيد ، والفعل فيها مسند إليه تعالى . .
{ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ }
ظاهره أنهم قالوا بأن ا[هو المسيح حقيقة ، وحقيقة ما حكاه تعالى عنهم ينافي أن يكون
ا[هو المسيح ، لأنهم قالوا ابن مريم ، ومن كان ابن امرأة مولوداً منها استحال أن يكون
هو ا[تعالى . واختلف المفسرون في تأويل هذه الآية . فذهب قوم إلى أنهم كلهم قائلون هذا
القول وهم على ثلاث فرق كما تقدم ، وأنهم أجمعوا وإن اختلفت مقالاتهم على أن معبودهم
جوهر واحد أقانيم ثلاثة : الأب ، والابن ، والروح أي الحياة ويسمونها روح القدس . وأن
الابن لم يزل مولوداً من الأب ، ولم يزل الأب والداً للابن ، ولم تزل الروح منتقلة بين الأب
والابن . وأجمعوا على أن المسيح لاهوت وناسوت أي : إله وإنسان . فإذا قالوا : المسيح إله
واحد ، فقد قالوا ا[هو المسيح . وذهب قوم إلى أن القائلين هذا القول فرقة غير معينة
يقولون : إن الكلمة اتخذت بعيسى سواء قدرت ذاتاً أم صفة . وذهب قوم إل أن يعقوبية
من النصارى هي القائلة بهذه المقالة ، ذكره البغوي في معالم التنزيل . .
قال بعض المفسرين : وكل طوائفهم الثلاثة يعقوبية ، والملكانية ، والنسطورية ،
ينكرون هذه المقالة ، والذي يقرون به أن عيسى ابن ا[تعالى ، وأنه إله . وإذا اعتقدوا
فيه أنه إله لزم من ذلك قولهم بأنه ا[انتهى . وقد رأيت من نصارى بلاد الأندلس من كان
ينتمي إلى العلم فيهم ، وذكر لي أن عيسى نفسه هو ا[تعالى ، ونصارى الأندلس ملكية .
قلت له : كيف تقول ذلك ، ومن المتفق عليه أن عيسى كأن يأكل ويشرب ، فتعجب من قلبي وقال
: إذا كنت أنت بعض مخلوقات ا[قادراً على أن تأكل وتشرب ، فكيف لا يكون ا[قادراً على
ذلك ؟ فاستدللت من ذلك على فرط غباوته وجهله بصفات ا[تعالى . وذهب ابن عباس إلى أنهم
أهل نجران ، وزعم طائفة منهم أنه إله الأرض ، وإله السماء . ومن بعض اعتقادات

النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهراً وانتمى إلى الصوفية حلولاً ١٠ تعالى في الصور
الجميلة ، ومن ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة : كالحلاج ، والشاذلى ، وابن
أحلى ، وابن العربي المقيم كان بدمشق ، وابن الفارض . وأتباع هؤلاء كابن سبعين ،
والتستري تلميذه ، وابن مطرف المقيم بمرسية ، والصفار